إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثانية – العدد الثامن – شتاء ١٣٩١ش/ كانون الأول ٢٠١٢م
صص ١٠١ ـ ١١٤

النقد الأدبی العربی المعاصر وتأثره بالمناهج الغربية «دراسة وتحليل»

حسن مجيدی*

سيدمحمد أحمدنيا**

الملخص

يعتـبر النقد الأدبی من أبرز مظاهر الأدب العـربی المعاصر فقد تأثرت هذه الظاهرة فی العصـر الحديث بمباحث النقد الغربی وذلک لاتّصال العرب بالآداب الغربية. تعود أسـباب تأثـر النقد العربی بالغرب إلـی مؤثرات کالنقد المقارن والمـدارس النقدية کمدرسـة الديوان ورجالها. والعرب – رغم هذه التأثيرات التی تعتبر لازما للمجتمع المثقف والنشـيط ولابد منها – لم ينس التراث العـربی فی هذه التيارات النقدية، ولم ينفصل عن الأصالة والقديم تماما. فانطلاقا من هذا نعالج فی هذا المقال بشکل وصفی و مکتبی، المؤثرات الأجنبية علی النقد الأدبی العربی المعاصر.

الكلمات الدليلية: الأدب العـربی الحديث، النقد الأدبی، تأثير التيارات النقدية الغربية فی النقد الأدبی.

---

*. جامعة تربيت معلم فی سبزوار، إيران. (أستاذ مساعد).. Majidi.dr@gmail.com
**. مدرس وزارة التربية والتعليم. (ماجستير فی اللغة العربية وآدابها).
التنقيح والمراجعة اللغوية: د. مهدی ناصری
تاريخ الوصول: ١٣٩٠/١٠/٢٠هـ. ش تاريخ القبول: ١٣٩١/٩/١٢هـ. ش

المقدمة

يُعـدّ والتأثير علاقة متبادلة بين الحضارات الحيـة فى الميادين العلمية والأدبية وقد كان النقد الأدبى العربى من الميادين التى شـهدت التأثـر والتأثير. إن أثر النقد الغربى علـى النقد العربى الحديث بـارز لأن الواقع العربى الجديد يطلـب ضرورة جديدة فى المجـال الأدب والنقد كما يطلب الأدباء و الشـعراء العرب ضـرورة جديدة فى رأيهم وفكرهـم ويبحثون عن أشـكال جديدة فرضتها الحياة المعاصـرة ضمن دائرة الحداثة الغربية. والناقد يواجه أجناسـا أدبية لم تعرفها الثقافة العربية القديمة بينما نقرأ فى ضوء النقد العربى القديم نصوصا مسرحية وروائية وقصصية متأثرة بالآداب الغربية كما نقرأ الشـعر العربى الحديث فى ضوء القواعد التى وضعها النقد الغربى ويتسلح ببعض أدواته المعرفيـة التى تطورت تطورا كبيرا بفعل تطور العلوم الحديثة ولهذا تأثرت قواعد النقد العربى منذ بداية القرن العشرين بالتيارات الغالبة فى أوروبا.

المؤثرات على النقد العربى فى القديم

لقد أجمع الباحثون المعاصرون من عرب و مستشرقين على وجود التأثير الهيلينى فى "نقد الشـعر" غير أن الخلاف بقى قائما بينهم حول هذا التأثير. هل هو فلسفه الإغريق عامة أو فلسـفه أرسـطو خاصة، بل إن منهم من يجادل فى تأثير فكر أرسطو برمته على "قدامـة " و يحصـره فى كتاب (الخطابة) وحـده، بينما يرى بعضهـم أن قدامة أخذ من الخطابة و من الشـعر مما يعتبر "طه حسـين" أول من لفت الأنظار إلى الصلة التى تربط النقد بالفكر اليونانى ومن خلال كتاب "نقد الشـعر". (طالبى، ١٣٨٤ش: ٤٢) ومن أهم مصادر النقد التى انشـغلت بالثقافة اليونانية وحاولـت أن تخضع البلاد العربية لأصول أرسـطو، كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر، وتأثر قدامة بالفكر اليونانى فى تنظيم كتابه، فجعله ثلاثة فصول مقتديا بأرسطو. (ضيف، لاتا: ١٦)

قـال "أمجد الطرابلسـى" إن "قدامة" تأثر ببلاغة أرسـطو (خطابتـه) وليس بكتاب فن الشـعر ويتفق مع الباحثين السـابقين "طه ابراهيم" حين يقـول: « فقد ترجم كتاب (الخطابة) لأرسطو فى النصف الأخير من القرن الثالث، ترجمه "إسحاق بن حنين" و قرأه "قدامـة بن جعفر" و انكب عليه انكبابا وعمل على الانتفاع بأصوله و رسـومه فى نقد

الشعر العربى.» (عباس، ١٩٨١م: ١٢٩–١٣٠)

المؤثرات على النقد العربى فى العصر الحديث

وقــف النقد الأدبى حائرا بين الدعوة إلى المحافظة على التراث القديم أو إلى الحركة التجديدية و بين الدفاع عن الأدب الإسلامى والأخلاق والسنن الاجتماعية ومنجزات الحضارة الإســلامية ودراســة رجالها وأعلامها دراســة حديثة فى نزعة عقلانية؛ وبين مقاومــة التيار الغــربى أو إخضاع الأدب للتجديد والتعريب ومهاجمة الأدب الشــرقى والدعوة إلى الآداب الغربية وترويج مذاهبها، فمن ثم دخل معارک أدبية أدت إلى ظهور مدرستين رئيسين فى النقد الحديث كما كان فى الأدب: ١. المدرسة النقدية التقليدية. ٢. المدرســة النقدية التجديدية. فقد تمثلت المدرسة الأخيرة فى المثقفين المتعلمين من الجيل الجديــد، المتأثرين بالثقافات الأجنبية والعلوم الجديدة الذين يطمحون العيش بين أبناء جيل النهضة. (صابرى، ١٣٨٥ش: ١٢٧–١٢٨)

ولندع النقــد الأجنبى فى تصورات أصحابه وتنظيراتهم و ممارســاتهم فكل أولئک نتاج حضارة ذات فلســفة معقدة وأما عندنا – نحن العرب– فى عصرنا هذا فثمة رقعة مكانيــة علــت فيها أصوات النقاد. وتلــک الرقعة التى علت فيهــا هذه الأصوات هى مصــر كمركز العــالم العربى ومع ذلــک كان المهاجرون العــرب فى الأمريكيتين يبذلون الجهد لاســيما فى أوائل القرن العشرين للتنبيه بكتاباتهم إلى أن النقد العربى يحتاج إلى إعادة نظر شاملة وهكذا أخذ مجددوا العصر يضاعفون نشاطهم لربط نقودهم بالتيارات الأوروبية. (احمد كمال زكى، لاتا: ٦٧)

وكان النقــد الأدبى فى مصر من أبرز مظاهر الأدب العربى المعاصر وكان النقد قوى المعارضة متصل النســب بالسياســة. (الجندى، ١٩٥٧م: ٨٩) ولم يقتصر هذا الأمر على الدراسات النقدية فى مصر بل امتد إلى المغرب العربى والمشرق وبلاد الغرب التى تواجد فيهــا المهاجرون العرب. فتأسســت الرابطة القلمية فى المهجر الشــمالى التى تبنت مثل مدرســة الديوان المذهب الرومانسى فى الأدب و النقد. وكان تأثر أعضاء هذه الرابطة بالاتجاهات النقدية الغربية الحديثة مباشرا بسبب تواجدهم فى البلدان الأجنبية. (غسان السيد، مجلة الموقف الأدبى)

فلمـا وقف أبناء الأمة العربية بعـد الاتصال بالغرب على الأسـاليب النقدية لدى الغرب أدركوا أن للنقد أصولا وطرقا ومقاييس علمية راقية وقواعد فنية لها أثر كبير فى كشف غوامض العلل والأسباب وبها تحدد للنقد حدوده، كما كان لكل علم وفن حدود وقواعد. فتسـربت تلك المبادئ و الأصول وتلـك القواعد والفنون إلى الأدب العربى ونقده بفضل هذا الاحتكاك كما يعترف به محمد أمين حسونة فى قوله: «أفلا يحق لنا أن نقـر فى صراحة بأنه لاتوجد فى الأدب العربى أسـاليب نقد صحيحة بالمعنى المعروفة به فى آداب الشعوب الراقية.» (صابرى، ١٣٨٥ش: ١٣٠) ويقول قسطاكى: «لم يكن النقد المعروفة عند العرب فى عصر من العصور ومع أن الانتقاد من الغرائز التى عرفوا بها فى كل زمن فلم يحددوا له أسماء ولااشتقوا من اسمه فنا غير ما هو معروف عندهم من نقد الدراهم أى تمييز جيدها من زيفها.» ولايعنى قسطاكى بذلك نفى جهود العرب عن هذا الميـدان وإنما وقف بهم الجهد عن بعض حدوده التى لاتجـزئ بالقياس إلى ما هو عليه فى أوروبا. فكان كتابه لذلك أول كتاب فى اللغة العربية يوطىء أكناف هذا الفن ويحدد قواعده ورسـومه. (حليمى مرزوق، ١٩٨٣م: ٢٦٣و٢٦٤) وفى كتب محمد مندور النقدية فإنه يعتمد فى تعريف الأدب على ما هو شـائع عنـد الأروبيين ويقول: «إن الأدب نقد للحياة وكلمة النقد فى هذا التعريف تسـتعمل بمعناها الاشتقاقى فهى مأخوذة من الفعل اليونانى ومعناه "يميز" فكلمة النقد الأروبية معناها إذن هو تمييز العناصر المكونة للشـئ الذى ننقده.» (صابرى، ١٣٨٥ش: ١٤٥)

وتأثـرت قواعد النقد العربى منذ بداية القرن العشـرين بالتيارات الغالبة فى أوربة، فظهر كتاب طه حسـين (فى الأدب الجاهلى) متأثرا بفلسـفة ديكارت، كما ظهر للعقاد كتـاب (ابن الرومى، حياته و شـعره) وكتـاب آخر عن أبى نـواس، متأثرا بالمباحث التاريخية والبيولوجية والسـيكولوجية. وشـكل العقاد إلى جانـب إبراهيم عبدالقادر المازنى وعبدالرحمن شـكرى مدرسة الديوان التى تأثرت بالرومانسية الغربية من النقد. (ربيعى، ١٩٦٨م: ١٧٥)

أما اسـتفادة طه حسـين من منهج ديكارت فى كتابه عن الشـعر الجاهلى وفى كتبه الأخـرى فيتمثـل بتلك النزعـة العقلانية التى تريـد أن تخضع كل الظواهـر الفكرية

للتمحيص والنقد العقلين، ومن ناحية التاريخ الأدبى فقد استفاد طه حسين من هذا المنهج فى امتلاک تلک النظرة النقدية العقلية التى وضعت علم القدامى كله موضع التجربة والاختيار. بالإضافه إلى هذه المؤثرات يذكر طه حسين أثر بعض الأساتذة الطليان الذين طبعوا حياته العقليه بطابع النقد الحديث. من هؤلاء نالينو الذى عمق فهم طه حسين فى دراسة الآداب وردها إلى مصادرها الأولى من المؤثرات الاجتماعية والسياسية كما دفعه إلى البحث عن أصل كل جنس من الفنون الأدبية وعن كيفية نموه أو انحطاطه وعن تأثير الأدباء بعضهم فى بعض. (الشاذلى، ١٩٨٩م: ٣٢٦) يقول طه حسين عن مؤثرات نالينو: «فمن الطبيعى أن يحدث فى نفوسنا أعمق الآثار وأبعدها مدى وأن يطبع حياتنا العقليه بطابع النقد الحديث. وليس من شک أن حقائق التاريخ الأدبى العربى قد تغيرت منذ ذلک الوقت فى كثير من أنحائها.» (حسين، ١٩٥٤م: ١٣)

وإلى جانب المجلات، وُجدت مجلة بيروتية أخرى هى مجلة (شعر) تدعو إلى الحداثة فى الأدب والنقد. وكان أدونيس ويوسف الخال من أشهر أعلامها الذين دعوا صراحة إلى تبنى المقاييس الغربية فى دراسة الأدب العربى قديمة وحديثة. (أدونيس، ٢٥٨) يقول أدونيس: «وكما أننا نعيش ومذاهب أدبية ابتكرها، هى أيضا الغرب.» أما يوسف الخال مؤسس مجلة (شعر) فيدعو إلى وعى التراث الروحى- العقلى العربى وفهمه على حقيقته وإعلان هذه الحقيقة وتقويمها كما هى دون ما خوف أو مسايرة أو تردد والغوص إلى أعماق التراث الروحى العقلى الأروبى وفهمه والتفاعل معه. (عياد، ١٩٣٣م: ٢٦٣)

وهناک العوامل الأخرى لتأثير الغرب فى النقد العربى الحديث مثل النقد المقارن و ظهور المدارس النقدية.

النقد المقارن

ظهر نوع جديد من الدراسات النقدية القائمة على المقارنة بين الأدبين العربى والأوربى، ومستفيدة من تطور الأدب المقارن فى أوربة مهد هذا الفرع المعروفى الجديد، مثل "تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفكتور هوغو" لروحى الخالدى و"منهل الوراد فى علم الانتقاد" للناقد السورى قسطاکى الحمصى الذى خصص الجزء الثالث من هذا الكتاب للحديث عن رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى، والكوميديا الإلهيه

للشاعر الإيطالى دانتى. (السيد، مجلة الموقف الأدبى)

فمن الطبيعى أن تنعكس التطورات الأدبية على الدراسات النقدية فى العالم العربى ويخطو النقد العربى خطوات مع نقاد احتكوا بالآداب الأجنبية وأساليبها النقدية ويشهد الفن القديم أبوابا مستحدثة، كهذا الاتجاه النقدى الذى دعى بـ "النقد المقارن" وإن هذا الاتجاه النقدى يهتم بالعلاقات التى تقوم بين أدب وطنى كتب بلغة قومه وبين أدب أو آداب أجنبية، كما يهتم بدراسة العلاقات الأدبية القائمة بين كتاب وشعراء متشابهين فى إنتاجهم الأدبى. (صابرى، ۱۳۸۵ش: ۱۵۱)

ومن الآخرين فى هذا الاتجاه النقدى محمد غنيمى هلال فى كتابه "فى النقد التطبيقى والمقارن" حيث تناول الكتاب أسس النقد الغربى والنقد العربى والتيارات النقدية المعاصرة، وكتابه الآخر "الأدب المقارن"، وهكذا غيره ممن كتب حول الأدب المقارن كمحمد مندور وعبدالسلام كفافى وطه ندى، وغيرهم من الأدباء فى خارج الوطن العربى. (المصدر نفسه: ۱۵۲)

ومما لاشک فيه أن الدراسات المقارنة العربية، خاصة فى جانبها التطبيقى، قد تطورت تطورا كبيرا بعد هذه المرحلة، ولكن المهم، بالنسبة لبحثنا هو التأكيد على استفادة النقاد العرب من المنهج المقارن فى الدراسات الأدبية، هذا المنهج الذى ولد فى فرنسا عام ۱۸۲۸م على يدى "آبيل فيلمان" ويقوم وفق وجهة النظر الفرنسية على دراسة التأثر والتأثير بين الآداب. أى دراسة الصلات التاريخية التى يمكن أن تنشأ بين آداب مختلفة اللغة.

إن هذه التغييرات التى طرأت على النقد العربى الحديث لم تسهم على الرغم من أهميتها فى تكوين خلفية معرفية ضرورية لتكوين نظريات نقدية عربية.

وهكذا بقى النقد العربى متأثرا بالمتغيرات النقدية الغربية. يرى الدكتور محمد مندور أن منهج الدراسة الأدبية لم يتبلور بعد فى بلادنا العربية ولا رسمت خطط ومذاهب. (مندور، لاتا: ۱٤۷)

المدارس النقدية

ومن أكبر الظواهر الأدبية والنقدية التى تلفت نظر المؤرخ لتطورات النقد والأدب

المعاصر فى القرن العشرين ظهور المدارس النقدية ومن أقوى هذه المدارس هى "مدرسة الديوان" ورجالها: «عباس محمود العقاد وعبدالرحمن شكرى وإبراهيم عبدالقادر المازنى.» (طالبى، ١٣٨٤ش: ١٤٠)

والتفت حولهم عدد من الشباب الناهضين الذين تزودوا بقسط وافر من الثقافة العربية والإنجليزية منهم: عبدالرحمن صدقى وعلى أدهم ومفيد الشوباشى وعبدالحميد السنوسى وعبداللطيف النشار وغيرهم.

وتأثر شعراء مدرسة الديوان بقراءتهم وثقافتهم الإنجيليزية بوجه خاص وكان العقاد والمازنى يرجعان فى النقد إلى "هازليت وماكولى وأرنولد وشاسترى" فأغلب آراء العقاد مأخوذة من "هازليت" ومحاضراته فى الشعراء الإنجليز ويشبهه العقاد فى عنفه النقدى، كما رجع العقاد فى مذهبه النقدى إلى "ريتشاردز" صاحب كتاب "مبادئ النقد الأدبى". (المصدر نفسه: ٦٤) وفى الحقيقة إن العقاد وصاحباه يعترفون بأثر الرومانسية الغربية فيهم، وإن هذه الرومانسية هى التى فتحت أمامهم المعنى الجديد للشعر. (إبراهيم الحاوى، ١٩٨٤م: ٥٦) يعترف العقاد بتأثر شكرى من الآداب الأجنبية حيث يقول فى بعض من تلك الذكريات: «عرفت عبدالرحمن شكرى قبل خمس وأربعين سنة فلم أعرف قبله ولا بعده أحدا من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعا على أدب اللغة العربية وأدب اللغة الإنجليزية وما يترجم إليها من اللغات الأخرى.» (خفاجى، ١٩٨٥م: ٢٣و٢٤)

وقد أعجب شكرى كل الإعجاب بشعراء الرومانسية الإنجليزية "رودزورث وكولردج وشلى وبيرون وكيتس وسكوت" وقرأ كل ما كتبوه وتأثر بهم روحا ومنهجا. (شكيب انصارى، ١٣٧٦ش: ١٦١)

كما ينظم المازنى معه الشعر على أسلوب جديد فى ضوء ما قرأ من شعر الإنجليز وخاصة عند أصحاب النزعة الرومانسية أمثال "شلى" وشعراء البحيرة. (الفاتح البدوى، ١٩٩٠م: ٣٦٤) ويقرأ المازنى وتتسع قراءته وينفتح أمامه العالم الغربى عن طريق إتقانه للإنجليزية، فلايقف عند ما يقرؤه فى الأدب الإنجليزى بل يقرأ كل ما استطاع فى الآداب الغربية المختلفة. (ضيف، لاتا: ٢٦٣) ونشر المازنى أول مجموعة مختارة من مقالاته سنة

۱۹۲٤م بعنوان "حصاد الهشيم" و فيها نراه يتحدث عن شكسبير ورواية تاجر البندقية التى نقلها إلى العربية خليل مطران، كما يتحدث عن ماكس نورد و وآرائه فى مستقبل الأدب والفنون. ويناقش آراءه مناقشة تدل على اتساع ثقافته الغربية. ويدرس بجانب ذلك المتنبى وابن الرومى، ويترجم بعض رباعيات الخيام عن الانجليزية. ويعرض لكثير من مشاكل الأدب و النقد. (المصدر نفسه: ٢٦٥)

أما العقاد فنراه يقول عن هذا الجيل الجديد: «فهى مدرسة أوغلت فى القراءة الإنجليزية وهى مع إيغالها فى قراءة الأدباء والشعراء الإنجليزيين لم تنس الألمان والطليان والروس والإسبان واليونان واللاتين الأقدمين، ولعلّها استفادت من النقد الإنجليزى فوق فائدتها من الشعر وفنون الكتابة الأخرى ولاأخطىء إذا قلت إنّ "هازليت" هو إمام هذه المدرسة كلها فى النقد.» (العقاد، ۱۹۳۷م: ۱۹۲) وكان مرجعها الأول مجموعة "الكنز الذهبى" وهى مختارات مشهورة من الشعر الإنجليزى من عهد شكسبير إلى نهاية القرن العشرين. (خفاجى، ۱۹۸٥م: ۷)

أعجب العقاد بشكسبير لاطلاعه الدائم على أعماله، وهو يجعل شكسبير نبى الفكر وهو يفعل ذلك فى محتوى مفهوم الشاعر النبى الذى أطلقه كارليل وتبناه الرومانتيكيون يقول العقاد: «ليس شكسبير بإنسان من الناس فى هذا الاعتبار ولكنه خارقة إلهية لايدخلنا الناس فيما بينهم من المناقشات والموازنات.» (العقاد، ۱۹۳۷م: ۲۷۷) وينظم العقاد قصيدة طويلة من ستة وأربعين بيتا بعنوان "شكسبير بين الطبيعة والناس" وأيضا استقى من شكسبير بعض الأفكار فى شعره بالإضافة إلى أن العدد الأكبر من مترجمات العقاد مختار من مسرحيات شكسبير. وقراءة العقاد للأساطير كانت من الروافد التى لها فعاليتها فى تفتيح مواهبه فقد استخدمها فى شعره بكثرة: أسطورة "فينوس" ربة الحب عند الأقدمين وهى تقف على جثة "أدونيس" أحد أبناء ملوك قبرص وقد عرب العقاد هذه الأسطورة عن شكسبير. (طالبى، ۱۳۸٤ش: ۷۹)

وفى هذه الفترة رأى العقاد وهيكل وطه حسين والمازنى أن ينقلوا إلى قرائهم مباحث الأدب والنقد الغربية ويشفعوها بنظرات تحليلية فى المفكرين الغربيين. وكان ذلك سببا فى ظهور ملاحق أدبية للصحف اليومية، فأخرج هيكل السياسية الأسبوعية وأخرج

العقاد أو أخرجت جريدة البلاغ الوفدية مجلة البلاغ الأسبوعية، ونتج عن ذلک نهضة أدبية واسعة. وأخذ هؤلاء الكتاب يجمعون مقالاتهم الممتازة فی كتب وينشرونها فنشر العقاد كتاب مثل: "مراجعات فی الآداب والفنون" و"مطالعات فی الكتب والحياة" و"الفصول" وهی تصور هذا الجهد العقلی الخصب الذی اضطلع به فی حياتنا الأدبية، فقد نقل إلينا كثيرا من الأفكار الأوروبية التی لم تكن تعرفها العربية. (ضيف، لاتا: ١٣٧)

إن من المستطاع إجمال المؤثرات النقدية الأجنبية علی العقاد فی هذه النقاط: الدعوة إلی الوحدة العضوية وإلی أصالة الشاعر فی رجوعه إلی ذات نفسه، وتصوير مشاعره وأفكاره بصور مستمدة من تجاربه وبيئته، وكذلک دعوة الشاعر إلی أخذ تجاربه نفسها من بيئته يصدر فيها عن صدق فكره وشعوره. ويجمع ذلک كله أنه كان يدعو إلی الصدق الفنی فی التصوير، ثم إلی صدق التجارب فی الإيمان بموضوعاتها. وله الفضل فی توضيح معنی الخيال، وإنه إنتاج الصور الصادقة وهی نتاج الخيال لاتقوم علی الشبه الظاهری الحسی، ولكنها تثير شعورا نفسيا يتجاوز هذه المظاهر. وهذه كلها نزعات رومانتيكية كما وضح من موجز ما عرضنا من النواحی الرومانتيكية. (طالبی، ١٣٨٤ش: ٨٤)

ورأينا فيما مضی أن أعضاء مدرسة الديوان كانوا يتأثرون بالآداب الأجنبية بواسطة قراءاتهم أو ترجماتهم من الكتب الأجنبية وخاصة الإنجليزية منها وهذا ما يتضح لنا من خلال مقالاتهم عن الشعراء والأدباء والمفكرين الأجانب مباشرا وعن طريق أخذ فكرتهم وآرائهم عنهم فی نقدهم وإنتاجاتهم الأدبية. ويؤكد علی قولنا تأثر هؤلاء الثلاثة من كتاب "الذخيرة الذهبية" ومقالات العقاد وآرائه فی "ماكس نورداو" فی قضية الجمال وأفلاطون وفلسفة الأخلاق وكانت وفلسفته و... وآراء شكری فی الخيال والتوهم متأثر بالغرب و"وردزورث" و"كولرج". (باقری، ١٣٨٧م: ١٥٣)

وجدنا جماعة جديدة تأتی فی أعقاب مدرسة الديوان تريد أن تحل بالتجديد إلی غايات أسمی – فی نظرهم – مما نادی به زعماء مدرسة الديوان واتخذوا إله الشعر عند اليونان "أبولو" رمزا لهم وأصدروا صحيفة بهذا الاسم أفسحوا فيها المجال للبحوث والآراء التی تعنی بتجديد الشعر العربی فی العصر الحديث. (درويش، ١٩٨٨م: ١٩٢)

لاتكون جماعة "أبولو" مذهبا أدبيا ولذلک كانت صلتها قوية بمدرسة البعث والتقليد

وحاولت أن تمد القنوات بينها وبين مدرسة الديوان كما اتصلت بمدارس الأدب الغربی علی مختلف فنونه ومواقعه. (محمد براده، ١٩٨٦م: ٩٤و٩٥)

وبعد هذه الدراسات والكتابات فلننظر إلی هذا السؤال: هل تأثر النقد العربی بالغرب تماما ونسی التراث النقدی القديم بحيث لايرتبط بالتراث العربی القديم ويغفل الرواد من النقاد العرب، القيم الثقافية القومية؟

لم تكن مدرسة الديوان خاضعة فی كل اتجاهاتها النقدية لما أملاه الفكر النقدی الإنجليزی فی بيئة الرومانتيكيين أو غيرهم إذ كانت للديوانيين نظراتهم الخاصة وارتباطهم بتراثهم العربية وأن يقيموا جسرا بين الثقافتين العربية والأروبية. (هدارة، ١٩٩٤م: ٣٤١) أما بجانب هذه الإيحاءات والإلهامات الغربية فی شعر هذه المدرسة إيحاءات وإلهامات كثيرة من الشعر القديم لأن هذه المدرسة لم تنفصل انفصالا تاما عن نماذج الشعر العربی، وإن كانت كتاباتها النقدية فی شعراء الإحياء توهم ذلک. والحقيقة أنها كانت تتصل بروائع الشعر السابقة التی تقرب من ذوقها، مما قرأته عند "ابن الرومی" و"المتنبی" و"الشريف الرضی" و"أبی العلاء" وقد كتب المازنی فصولا طريفة عن ابن الرومی وأشاد بشعره إشادة واسعة وأفرد له العقاد كتابا، وكتب مرارا عن المتنبی وأبی العلاء المعری و... .

فهم لم ينفصلوا ولم يستقلوا تماما عن الشعر القديم... وليس هذا عيبا فی المدرسة، بل هو حسنة كبری لها، فإنها بذلک تدخل فی مجری الحياة الأدبية بقوة وتصبح تيارا نافذا عاملا فيه تيارا فيه من الروح والحياة العربية ومن إلهامات الغرب وقراءة آثاره، فهم شرقيون غربيون بل هم مصريون عبروا عن روح عصرها المتشائمة تعبيرا قويا، وطبعوا هذا التعبير بطوابع الثقافة الحديثة وكل ما اكتسبه العقل المصری من رقی. وإذا كانوا فی أول الأمر قد نقدوا شعراء الإحياء وعابوهم بتسجيلهم الأحداث السياسية والاجتماعية فإنهم اضطروا اضطرارا أن يسلكوا فی بعض الأحيان سبيلهم وخاصة "العقاد" الذی يختلط بعد سنة ١٩٢٢م بالحياة السياسية وأصبح عضوا عاملا فی التعبير عنها باسم أحزابها، ولم يقف بهذا التعبير عند النثر، بل مدّهُ إلی الشعر. (طالبی، ١٣٨٤ش: ٦٨ نقلا عن العقاد والمازنی: ٢)

وفضل مدرسة الديوان بأنهم اضطلعوا على الأدب الإنكليزى واستفادوا من مبادئ نقده وحاولوا فى ثورتهم على القديم أن يجدوا فى الشعر العربى الحديث ما وسعهم الجهد متخذين من قضايا النفس والذات والآراء والخواطر الإنسانية أساسا لانطلاقهم فى النظم. (أبوالشباب، ١٩٨٨م: ٩٥) ولقد كانت هذه المدرسة مستقلة فى آرائها ولم تفن فناء تاما فى الأدب الأجنبية لأنها تحصنت ضد هذا الفناء والخضوع بما لقحت نفسها من الأدب العربى سابقا وفى أثناء مقاربتها لهذا الأدب فأعانها ذلک على سلامة الرأى والتمييز، وجنبها الوقوع فى إسار التقليد. (أبوكريشة، لاتا: ١٠٠)

وكان على جيل الرواد من النقاد العرب إذن الاختيار بين الاكتفاء بالتراث النقدى أو الاستفادة من المناهج النقدية الغربية. أما التيار الأول فقد قدم طروحات تتعلق ببناء مشروع نقدى عربى مستقل نسبيا عن التيارات النقدية الغربية ومتواشج مع التراث النقدى العربى القديم. مثلما فعل حسين المرصفى فى كتابه "الوسيلة الأدبية" ومصطفى صادق الرافعى فى "تاريخ آداب العرب" وجرجى زيدان فى "تاريخ آداب اللغة العربية". (غسان سيد، مجلة الموقف الأدبى)

ونرى أن جيل الرواد من النقاد العرب حاولوا تجديد المناهج النقدية الأدبية عن طريق اتصالهم الوثيق بالثقافة الغربية واطلاعهم العميق على مناهج البحث فى الدراسات الأدبية الأروبية الحديثة، ولم يغفل هؤلاء الرواد فى لحظة اتصالهم بالثقافة الأروبية عن النظر فى القيم الثقافية القومية بل نراهم وهم يبذلون أقصى جهودهم فى تطوير هذا التراث القومى والعمل على توثيقه لربطه بالمجرى العام للثقافة الإنسانية. لأنهم كانوا مقتنعين بأهمية ما يفعلونه من أجل تعريف العالم بأدب متجدد يستطيع أن يواكب المتغيرات العالمية. فلم تكن النهضة إذن إلا شعورا بالقلق الجم لم يستيقظ فيجد نفسه متخلفا عن الركب. ولأول مرة يتعرض الأدب العربى القديم للبحث والتدقيق ولا شک فى القيم التى توارثتها الأجيال المختلفة بالاعتماد على أدوات فنية غربية بعد أن بدا النقد العربى القديم عاجزا عن القيام بهذه المهمة الصعبة لأنه كان يقوم فى كثير من الأحيان على مجموعة من الانطباعات اليسيرة التى طغت عليها محاولات البلاغة اللفظية والأحكام الجاهزة دون تعليل.

إن المناهج النقدية الأروبية فرضتها ظروف محددة عاشتها تلک المجتمعات لأن كل تغير فى مجال الفكر والفن لايحدث بمعزل عن القوى الأخرى الفعالة فى المجتمع. ولذلک كانــت ولادة هذه المناهج وتطورها يحدث بصورة طبيعية أما عندما عمدنا إلى نقل هذه الاتجاهات النقدية الجديدة دون تأمين الوســط المناســب، فإننا نكون قد حكمنا عليها بالموت سلفا مثلها فى ذلک كمثل نبتة لاتعيش إلا فى المناطق الاستوائية أو المدارية مثلا وتنتقل إلى خارج موطنها الأصلى دون تأمين الظروف المناسبة لاستمرارها فى الحياة.

والمشــكلة أن النقد العربى المعاصر لايســتطيع التخلص من هذه الإشــكاليات التى عانى منها النقد العربى الحديث منذ مطلع عصر النهضة على الرغم من بعض الدراسات المتميــزة التى يقوم بها بعض النقاد العرب مثل شــكرى عيــاد ومصطفى ناصف وجابر عصفــور ووهب رومية وغيرهــم، لا بل إن بعضهم ينظر بعين التقديس إلى كل ما يصدر عــن النقاد الغربيين. يكفى أن ننظر إلى مقالة الدكتور حســن ســحلول فى مجلة المعرفة السورية للتأكيد من حالة الاستلاب التى يعانى منها النقد العربى المعاصر، إذ يذكر أكثر من ثلاثين اسما لنقاد غربيين فى صفحات قليلة. (غسان سيد، مجلة الموقف الأدبى)

إننــا نظن أن النقد العربى الحديــث بعيد عن الموضوعية وعن المنهج العلمى الدقيق، وذلک لأنه لم يســتطع تطويــر النقد العربى القديم ولا أن يتمثل مناهــج النقدية الغربية الحديثة، ولا أن يخلق منهجا نقديا عربيا جديدا يستمد خصوصيته من خصوصية علاقته بواقعية، دون أن ينقطع عن المناهج النقدية العالمية. يقول الدكتور شــكرى عياد: «ونحن نعترف دائما بأننا لن نستطيع فهم القديم –كما يتاح لنا فهمه اليوم – إلا إذا نظرنا إليه بعيــون معاصرة ولايقتصر ذلک على الوعى بمشــكلات الحاضر ومطالبه، ولكنه يتضمن استخدام وسائل الفكر المعاصر أيضا.» (شكرى عياد، ١٩٣٣م: ٦)

النتيجة

تأثــر النقد العربى بالغرب وحاول العرب تجديــد المناهج النقدية الأدبية عن طريق اتصالهــم الوثيق بالثقافة الغربية وبعد هذا الاتصال أدركوا أن للنقد أصولا وقواعد فنية فأدخلوا تلک القواعد والفنون إلى الأدب العربى ونقده. تأثر أكبر مدرســة نقدية وهى

مدرســة الديوان بالأدب الأروبى المعاصر وقد نبــع تيار النقد العربى الحديث من النقد الغربى وقد أحدث هذا التيار أثرا كبيرا فى الشعر العربى وحركة التجديد للشعر العربى.

إن الــرواد من النقاد العرب فى اتصالهم بالثقافة الأروبية لم يغفلوا عن القيم الثقافية العربية وبذلــوا جهودهم فى تطوير هذا التراث ولم ينفصلوا من القديم تاما. إن القاعدة الأساســية للســير بهذا النقد فى الاتجاه الصحيح موجودة وذلك بفضل جيل الرواد من النقــاد العرب فى العصر الحديث الذين جمعوا بين الأصالة والمعاصرة. وهذه التطويرات من أجل تطور منهج نقدى عربى ولن يكتب لهذا المنهج النجاح إلا إذا جمع بين التراث العربى النقدى والمناهج النقدية الحديثة.

المصادر والمراجع

أبوالشــباب، واصف. (١٩٨٨م). *القديم والجديد فى الشــعر العربى الحديــث*. بيروت: دار النهضة العربية.

ابوكريشة، طه مصطفى. (لاتا). *ميزان الشعر عند العقاد*. لامک: *لانا*.

أحمد كمال، زكى. (لاتا). *النقد الأدبى الحديث*. بيروت: دار النهضة العربية.

اســدبور كياســرى، فاطمــه. (١٣٨٧ش). *موازنة بــين آراى نقدى وادبى عباس محمــود العقاد واحمدزكى ابوشادى*. الأستاذ المشرف: حسين شمس آبادى. جامعة تربيت معلم فى سبزوار.

باقرى، مرتضى. (١٣٨٧ش). مدرسة *الديوان ودورها فى الأدب العربى المعاصر*. الأستاذ المشرف: محمدعلى طالبى. جامعة تربيت معلم فى سبزوار.

برادة، محمد. (١٩٨٦م). محمد مندور *وتنظير النقد الأدبى*. القاهرة: دار الفكر.

الجندى، أنوار. (١٩٥٧م). *نزعات التجديد فى الأدب العربى المعاصر*. لامک: مطبعة الأعلام.

الحــاوى، إبراهيــم. (١٩٨٤م). حركة *النقد الحديث والمعاصر فى الشــعر العربى الحديث*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

حسين، طه. (١٩٥٤م). *تاريخ الآداب العربية*. مصر: دار المعارف.

خفاجى، عبدالمنعم. (١٩٨٥م). *دراســات فى الأدب العربى الحديث*. الجزء الثانى. القاهرة. مكتبة الكليات الأزهرية.

درويش، حسن. (١٩٨٨م). *النقد الأدبى بين القدامى والمحدثين*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

ربيعى، محمود. (١٩٦٨م). *فى النقد الشعر*. القاهرة: دار المعارف.

شــاذلی، عبدالسلام. (۱۹۸۹م). *الأسس النظرية فی مناهج البحث الأدبی العربی الحديث*. بيروت: دار الحداثة.

شــكيب انصاری، محمود. (۱۳۷٦ش). *تطور الأدب العربی المعاصر*. أهواز: جامعة شــهيد چمران أهواز.

صابری، علی. (۱۳۸٥ش). *النقد الأدبی وتطوره فی الأدب العربی*. طهران: سمت.

ضيف، شوقی. (لاتا). *الأدب العربی المعاصر فی مصر*. الطبعة العاشرة. القاهرة: دار المعارف.

ـــــــــــ (لاتا). *فی النقد الأدبی*. القاهرة: دار المعارف.

طالبی، محمدعلی. (۱۳۸٤ش). *المختصر فی النقد الأدبی*. طهران: ناشر عابد.

عباس، إحسان. (۱۹۸۱م). *تاريخ النقد الأدبی عند العرب*. بيروت: دارالثقافة.

العقاد، عباس محمود. (۱۳۸۲ش). *مناهجه، آراءه، معاركه النقدية*. طهران: حروفية.

ـــــــــــــــ (۱۹۳۷م). *شعراء مصر وبيئاتهم فی الجيل الماضی*. القاهرة: مطبعة حجازی.

ـــــــــــــــ (۱۹۸٤م). *ساعات بين الكتب*. بيروت: لانا.

عياد، شكری. (۱۹۳۳م). *المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين*. الكويت: عالم المعرفة.

الفاتح البدوی، زينب. (۱۹۹۰م). *دراسة نقدية مقارنة*. السودان: مطبعة جامعة الخرطوم.

مرزوق، حليمــی. (۱۹۸۳م). *تطور النقد والتفكير الأدبی الحديــث*. بيروت: دار النهضة العربية.

مندور، محمد. (لاتا). *النقد والنقاد المعاصرون*. القاهرة: مطبعة نهضة مصر.

هدارة، محمدمصطفــی. (۱۹۹٤م). *بحوث فی الأدب العربی الحديــث*. القاهرة: دار الفكر العربی.